# حفرية كنيسة خربة الدوير / جنين الصفا ١٩٩٧م

اعداد: اسماعيل أحمد ملحم

## الموقع

تقع خربة الدوير غرب بلدة جنين الصفا / لواء الكورة في محافظة اربد، وتحديداً تقع شمال / شرق بلدة دير أبي سعيد مركز اللواء حوالي ٧كم. ولغوياً فإن كلمة الدوير هي تصغير لكلمة دير، والدير هو خان النصارى، وجمعه أديار، وصاحبه الذي يسكنه ديّار وديراني (ابن منظور ١٩٩٠: ٢٩٦، ٢٩٧).

تشتهر جنين الصفا بتربية الأبقار ويوجد فيها حوالي (٢٠٠٠) رأس بقر، كما تشتهر بسهولها الخصبة وخصوصاً في خربة إرخيم التي تنتج معظم المحاصيل الشتوية والصيفية وخاصة البصل والبامية. كما يقوم المواطنون باستصلاح الأراضي ذات الطبيعة الصخرية وزرعها بأشجار الزيتون. وتتواجد الأشجار الحرجية في عدة مناطق مجاورة للبلدة.

ترتفع بلدة جنين الصفا عن سطح البحر حوالي ٣٦٣م، كما يبلغ معدل سقوط الأمطار السنوية فيها ما لا يقل عن ٣٠٠ملم، ويبلغ عدد سكان البلدة حوالي أربعة آلاف نسمة.

## المسوحات الأثرية

أشارت المسوحات الأثرية السابقة الى بلدة جنين الصفا، إذ يذكر سيغفرد متمان فترات الاستيطان التي شهدتها البلدة: العصر الحديدي الثاني، العصر الهلنستي، العصر الروماني، العصر البيزنطي، العصر الاسلامي (Mittmann 1970: 258). كما أشار كل من بانينغ وفاوكت ضمن مسحهما لوادي زقلاب الى وجود دلائل تشير الى وجود كنائس واستيطان مزدهر من العصر البيزنطي (Banning and Fawcett 1983: 302-305).

## الكشف عن الموقع

تم الكشف عن الموقع بتاريخ ١٩٩٧/٤/١م، أثناء جولة تفتيشية على المواقع الأثرية قام بها مفتش آثار الكورة يرافقة حارس الآثار حسين بني يونس والسائق خلف حموري، حيث تبين وجود تخريب وحفريات غير شرعية من قبل مجهولين في قطعة الأرض رقم ٨ حوض رقم ٧ المسمى حوض كرم الحمام، المملوكة لعدد من مواطني سكان بلدة جنين الصفا. وقد تم ضبط أدوات الحفر ومصادرتها، كما لوحظ تكشف رقعة من الفسيفساء اضافة الى حجارة بناء مشذبة مبعثرة في الموقع.

وبتفقد الموقع على نطاق أوسع لوحظ وجود العديد من الكهوف والمدافن الفردية والجماعية، ومعاصر العنب، وجميعها مقطوعة في الصخر الطبيعي الكلسي الذي يميز تضاريس المنطقة، كما لوحظ وجود عدة مقاطع في الصخر تشير الى قطع الحجارة المشذبة من نفس الموقع.

في ضوء ذلك تقرر إجراء حفرية عرضية بهدف استكشاف الموقع ومعرفة ماهيته، ولمنع العابثين بالآثار من تدميره، حيث بوشرت أعمال التنقيب على الفور ابتداءً من تاريخ ١ نيسان ولغاية ٥ حزيران ١٩٩٧م. وقد كشفت النتائج الأولية للتنقيب عن كنيسة بيزنطية - أموية.

## أعمال التنقيب

تكوّن فريق التنقيب من اسماعيل ملحم مشرفاً، وحرّاس الآثار التابعين لمكتب آثار الكورة كمراقبين للورشة بالتناوب وهم حسين بني يونس، زايد السلامة، ياسر عبدالنبي، بسام بني يونس، ومحمد بني حمد، اضافة الى حارسين دائمين للمواقع وستة عمال.

لغايات الحفر المنظم استخدمت الطريقة الشبكية في عمل المربعات، قياس كل مربع ٤م × ٤م، وبين كل مربع وآخر فاصل بعرض ٥٠سم. ابتدأت أعمال الحفر في المربع A (جدول رقم ١) الذي وجد فيه آثار

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| $X_6$ | Y | Z | $A_1$ | $A_2$ | $A_3$ |
| $X_5$ | L | K | J | $A_4$ | $A_5$ |
| $X_4$ | C | B | A | O | $A_6$ |
| $X_3$ | D | E | F | N | Q |
| $X_2$ | G | H | I | M | P |
| $X_1$ | R | S | T | V | W |

جدول (١) المخطط الشبكي للمربعات.

التخريب وتكشفت رقعة الفسيفساء. بلغ مجموع المربعات مع انتهاء اعمال الحفر ٣٦ مربعاً بمساحة اجمالية ٢٤م×٢٤م. تراوحت سماكة التربة فوق الارضية الفسيفسائية المكتشفة بين ٢٠سم - ٧٠سم، وهي تربة بنية اللون متوسطة الصلابة، وتفتقر لتسلسل طبقي واضح بسبب تعرض الموقع لأعمال التجريف من قبل مُلاك الأرض بقصد استصلاحها، وتعرضها لأعمال النبش من قبل مجهولين بحثاً عن لُقى أثرية، أضف الى أن المنطقة كانت معسكراً سابقاً للجيش الأردني.

تبين خلال أعمال الحفر في المربعات وجود أنقاض لمبنى الكنيسة ممثلة بتراكمات لحجارة المبنى بقياسات مختلفة أغلبها ساقطة فوق بعضها أو على الأرضية مباشرةً أو يفصلها عن الأرضية طبقة تراب صفراء اللون بسمك ٥-٦سم أو بلون بني فاتح بسماكة ١٠-٢٠سم. تركزت حجارة البناء الساقطة بشكل خاص في المربعات: O, J, F, A. ولوحظ أن لون التربة بين الحجارة في مربع A ممزوج بآثار حريق، كما وجد في ذات المربع وتحت احدى هذه الحجارة إبريق فخاري كامل الشكل بطول ٢٣سم له يد وصنبور وقاعدة حلقية، ويؤرخ للقرن الثامن الميلادي من العصر الأموي.

من ناحية أخرى فإنه من الجدير ذكره أن نمو العديد من الأشجار الحرجية (البلوط) فوق الأرضيات الفسيفسائية والجدران قد أضر كثيراً بالموقع، إذ أن تمدد الجذور داخل الموقع سبب ضعف البنية العمائرية وتماسك عناصرها. وللأسف فقد حالت عدة أشجار بسبب وجودها فوق الأرضية الفسيفسائية وفوق الجدران مباشرة دون الكشف الكامل عن الأرضيات، نظراً لصعوبة الاجراءات المتبعة في قطع الأشجار الحرجية (شكل١).

**مخطط الكنيسة**

بعد انتهاء أعمال الحفر والتنظيف وإزالة الحجارة المتراكمة اتضح مخطط الكنيسة وتقسيماته، غير أن أجزاء من أرضية الكنيسة قد دُمرت إما نتيجة سقوط حجارة البناء في أعقاب الزلزال المدمّر الذي يغلب أنه زلزال عام ٧٤٧م، وإما نتيجة أعمال التجريف الحديثة. غير أن ما تبقى من أرضية الكنيسة إضافة الى أساسات جدرانها يُعطي تصوراً واضحاً تقريباً عن وضع هذه الكنيسة.

تم بناء الكنيسة على نظام البناء البازليكي، فالمبنى مستطيل الشكل يتكوّن من رواقين جانبين ورواق أوسط (صحن الكنيسة)، ويتقدم المبنى في الجهة الشرقية الهيكل وحنيّة الكنيسة. تبلغ أبعاد هذه الكنيسة حوالي ٣٠ر١٩م شرق - غرب بما في ذلك الحنيّة والبهو الأمامي للمدخل الرئيسي. كما يبلغ عرض الكنيسة حوالي ١٣م بدون بقايا الحجرات الملحقة في الجهة الجنوبية (شكل٢ ، ٣).

وفيما يلي وصفاً لأقسام الكنيسة وملحقاتها:

**١- البهو الخارجي لمدخل الكنيسة**

يقع هذا البهو في الجهة الغربية من مبنى الكنيسة، يبلغ عرضه ٢٥٠سم، وطوله ١٢م وهو موازي لطول الجدار الغربي للكنيسة. رصفت أرضيته بالفسيفساء البيضاء اللون المتوسطة الحجم. وجد في أرضية البهو وعلى يمين مدخل الكنيسة مدفن منحوت في الصخر الطبيعي له مدخل رأسي مركب من عدة حجارة، ويبدو

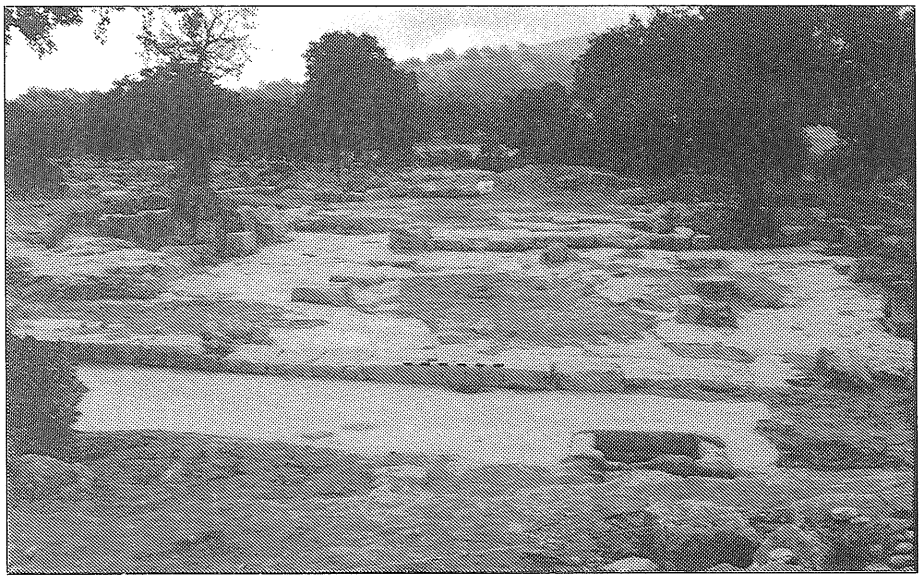

شكل (١) منظر عام للكنيسة، يلاحظ في المقدمة مدخل المدفن الأرضي.

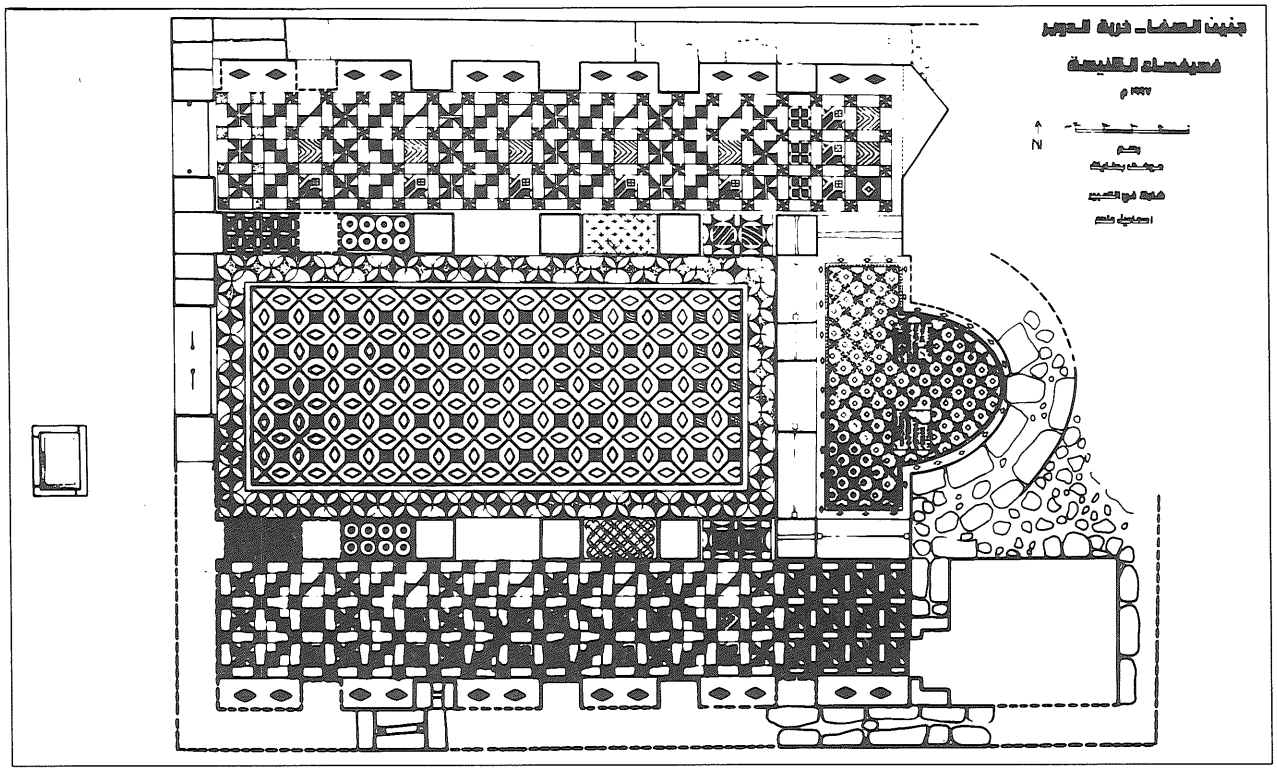

شكل (٢) المخطط العام للكنيسة مع إعادة تصور لفسيفسائها المفقودة.

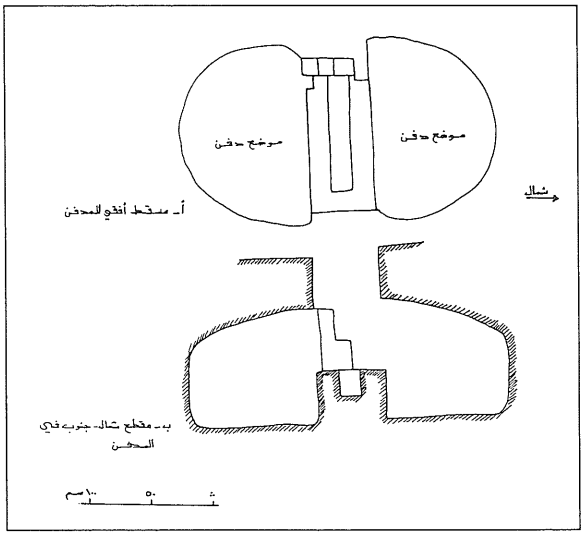


شكل (٣) مسقط ومقطع للمدفن الموجود في أرضية البهو الأمامي.

أنه كان له غطاء، أطوال فتحة مدخل المدفن ٦٥سم×٤٠سم، وتتسع عند الدخول لأسفل المدفن بعرض حوالي ٥٤سم، يتم الدخول الى المدفن بشكل عمودي للأسفل بواسطة درجتين.

نُحت المدفن في الصخر الطبيعي، فيه قبرين جانبيين متساويين تقريباً في الجهتين الشمالية والجنوبية أبعادهما ١٤٠سم×١٠٠سم×ارتفاع أقصاه ٢٠٠سم، يبدو أن هذين القبرين كانا يستعملان للدفن الجماعي بسبب اتساعهما. يتوسط المساحة بين القبرين الشمالي والجنوبي تجويف مستطيل الشكل منتظم بقياس ٢٠سم×٩٠سم، يُحتمل أنه كان يستعمل كممر صغير بين القبرين. غير ان المدفن بكامله وجد منبوشاً، حيث لم يُعثر إلا على كسر قليلة جداً من العظام الآدمية وجزء من عظام جمجمةً وكسر فخارية، ومكعبات فسيفسائية من الحجم الكبير والمتوسط بيضاء اللون. غير أن المثير للاستفهام أن المدفن وجد مطموراً بكامله بالأتربة والحجارة بطريقة متعمدة، مما يشير إلى محاولة لإلغائه في فترة لاحقة (شكل ٢,١).

### ٢- مدخل الكنيسة الرئيسي

يقع مدخل الكنيسة الرئيسي ضمن الجدار الغربي للكنيسة، وهو مكوّن من بوابتين رئيسيتين لدخول المصلّين إلى أروقة الكنيسة كانتا مثبتتين على عتبتين حجريتين بهما مغرزين لأعمدة البوابتين، إحدى العتبتين بطول ١٣٠سم والأخرى ١٨٠سم (انظر شكل١).

### ٣- أروقة الكنيسة الداخلية

تتكوّن الكنيسة من ثلاثة أروقة: الرواق الشمالي، والرواق الأوسط، والرواق الجنوبي. وتتوزع بين الأروقة وعلى أطرافها قواعد حجرية مثبتة كانت تقوم عليها

حجارة بناء أو أعمدة ترفع أقواس متناظرة، ترفع بدورها سقف الكنيسة الذي كان يغطيه القرميد المحروق، والذي وجدت قطع عديدة منه. أطوال هذه الأروقة كالتالي:

الرواق الشمالي: طول ١٢م × ٢٦٠سم.

الرواق الأوسط: طوال ١٠م × ٤٧٠سم.

الرواق الجنوبي: طول ١٢م × ٢١٠ سم.

هيكل الكنيسة: طول ٥م شرق - غرب × عرض ٦م شمال - جنوب (شكل ١ ، ٢).

لوحظ أن بعض قواعد الأعمدة قد بُنيت من قطعة حجرية واحدة وبعضها الآخر من قطعتين حجريتين متجاورتين، كما لوحظ وجود آثار قصارة بيضاء عليها. وأن بعض القواعد مفقودة إما نتيجة اعمال التجريف أو بسبب نقل الحجارة حديثاً من قبل المواطنين. رصفت أرضيات الأروقة الثلاثة بالمكعبات الفسيفسائية الصغيرة الحجم والملونة والتي شكلت زخارف متنوعة. احتفظ الجدار الشمالي للرواق الشمالي بجزء واضح من تركيبته، حيث استخدم فيه حجارة مشذبة متوسطة وكبيرة الحجم، وقد احتفظ الجدار بثلاثة مداميك، ومن طريف الأمور أن حفظ الجدار من الدمار كان نتيجة نمو شجرة بلوط فوقه بشكل مباشر، مما أبعد عنه خطر التجريف. بالنسبة الى مستوى الأرضيات الفسيفسائية فهو غير متوازن نظراً لهبوط الأرضيات في بعض الأجزاء، حيث تتواجد طبقة أساس ترابية، وأيضاً لسقوط حجارة البناء عليها وتعرضها للإنشاء.

نسرد لاحقاً وبالتفصيل وصفاً للأرضيات الفسيفسائية.

**٤- حنيّة وهيكل الكنيسة**

بُنيت حنيّة الكنيسة على شكل قوسي، نصف قطره ١٧٥سم شرق - غرب، والآخر حوالي ٣٥٠سم شمال - جنوب، ويمتاز بناءها بسماكة الجدار حيث يصل عرض جدار الحنيّة حوالي ٢٣٠سم، استخدمت فيه في الواجهة الداخلية حجارة مشذبة ربما استخدمت على ارتفاع مناسب لاستعمالها كمقاعد لجلوس الجوقة الموسيقية المرافقة للكاهن. يضم جدار الحنيّة في معظمه حجارة غير مشذبة في أكثرها. الجزء الشمالي من الحنيّة متعرض للتدمير بسبب أعمال التجريف الحديثة ويلاحظ تواجد بقايا قصارة بيضاء على الجدار الداخلي للحنيّة (شكل ٤).

يوجد في المنطقة الأمامية من الحنيّة ما يُطلق عليه (الهيكل) وهو المكان الذي تتم فيه الطقوس الدينية من قبل الكاهن ومرافقيه. طول هذه المنطقة ٦م بعرض ٣٠ر٣م ابتداءً من الحاجز الأيقوني الذي يقع في الجهة الغربية من الهيكل، وفيه عتبات مغارز حجرية للحاجز الذي كان يزدان بالصور والرموز الدينية، وبالعادة يكون الحاجز مصنوعاً من الخشب. يتوسط العتبات الحجرية أقنية وفجوات لتثبيت الحاجز الخشبي (الدرابزين) (شكل ٤).

كما يتوسط منطقة الهيكل حجر قاعدة المائدة المقدسة التي كانت توضع عليها الأناجيل والشمعدان، وهذا الحجر كلسي عليه نحت لخطوط نافرة، أطواله ٣٠سم×٦٠سم. وجد في أرضية الهيكل وعلى جانبي قاعدة المائدة المقدسة نقشين كتابيين باللغة اليونانية، سنفصل في دراستهما لاحقاً (شكل٥). كما وجدت بقايا أعمدة صغيرة كانت مغروزة بالأرضية

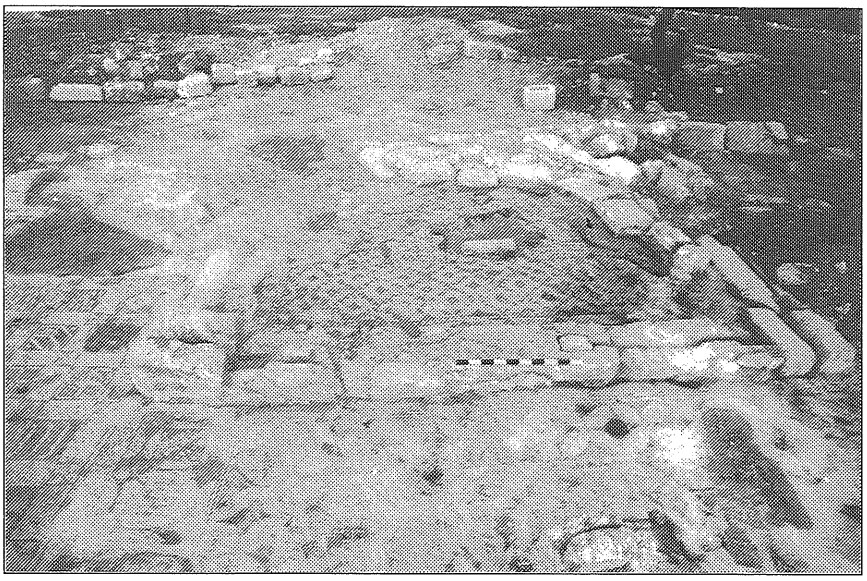

شكل (٤) منظر عام لهيكل الكنيسة والحنيّة.

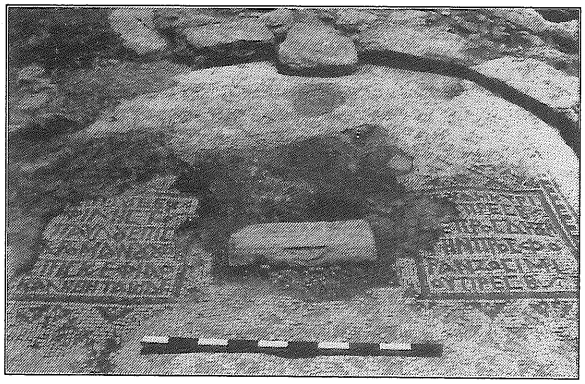

شكل (٥) نقشان باللغة اليونانية في حنيّة الكنيسة يتوسطهما قاعدة المائدة المقدسة.

الفسيفسائية، وقد وجدت اثناء التنقيب عدة قطع من هذه الأعمدة التي كانت تزين منطقة الهيكل، ووجد أيضاً جُرن حجري مربع الشكل تقريباً ٥٤سم × ٤١سم × ارتفاع ٤٠سم، ربما كان يُستخدم كجُرن للمعمودية (شكل٦ ، ٧).

**٥- الحجرات الملحقة بالكنيسة**

أ- ألحق بالكنيسة في الجهة الشرقية حجرة مربعة الشكل تقريباً ٣٠٠سم × ٢٥٠سم، لها مدخل يوصلها بالرواق الجنوبي بعرض حوالي ٨٠سم. لكن للأسف تعرضت للتدمير وانزلاق الحجارة في الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية. كانت أرضيتها مرصوفة أصلاً بالفسيفساء، حيث وجد جزء منه من النوع الأبيض غير الملون، الا أن الجزء الأكبر وجد مدمراً (انظر شكل ٢).

ب- ألحق بالكنيسة ايضاً في الجهة الجنوبية ما يغلب أنه حجرتين إحداهما أكبر مساحة من الأخرى، وتتضح بقايا حجارة بناء الحجرة الأولى وهي الصغرى قياس ٢م × ٤م تقريباً، الحجارة مشذبة، ومنزلقة عن أماكنها في الجهة الغربية. أما الحجرة الثانية فعرضها تقريباً ٤م ×٥٠ ,٥م، وقد دُمرت هذه الحجرة ولم يُعثر على جدرانها في الجهتين الجنوبية والشرقية. وجدت في أرضية الحجرة الأخيرة رقع صغيرة من الفسيفساء ذي المكعبات الملونة الصغيرة الحجم ٨ ,٠×٨ ,٠سم عليها صورة لشجيرة تفاح صغيرة، وبقايا نقش عليه كتابة يونانية في إطار دائري، وعدد من الأشكال الهندسية كالمثلثات، وسنفصل لاحقاً قراءة النقش (الشكل ٨ ,٩).

شكل (٦) أحد الأعمدة التي كانت تزين منطقة الهيكل، وجد خارج الرواق الجنوبي.

شكل (٧) جُرن المعمودية، وجد في منطقة الهيكل بشكل عشوائي.

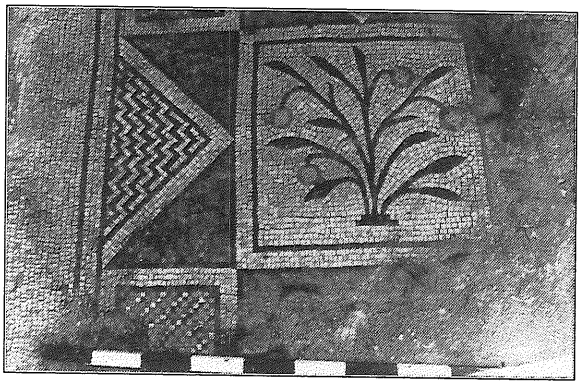

شكل (٨) زخرفة شجيرة تفاح يجاورها أشكال هندسية في الحجرات الجنوبية للكنيسة.

شكل (٩) بقايا نقش باللغة اليونانية في الحجرات الجنوبية للكنيسة.

**٦- ناووس حجري**

وُجد هذا الناووس الحجري في الجهة الشمالية / الشرقية من الكنيسة وعلى بعد ١٢٠سم عن الجدار الشمالي للكنيسة، وهو مشغول من الحجر الكلسي متوسط الصلابة، تعرض للكسر بفعل أعمال التجريف الحديثة مما أضر بتركيبته. أطواله ٢٢٠سم×٨٠سم، وقد وجد للأسف مفرغاً من محتوياته، عثر بجانب هذا الناووس في المساحة بينه وبين الجدار الشمالي للكنيسة على كمية كبيرة من الكسر الفخارية والزجاجية جُلّها يؤرخ للقرن الثامن الميلادي وتمثل كسر لأواني طبخ وكسر لأباريق وأسرجة وجرار، أضف إلى كسر زجاجية لأواني صغيرة وقوارير، مما يُعطي مؤشراً على طقوس كانت تؤدي احتراماً للمتوفى بوضع هذه المشغولات الفخارية والزجاجية بالقرب منه (شكل١٠).

**٧- رصيف للمشاة**

وجد هذا الرصيف في الجهة الشمالية من الكنيسة مبني من حجارة مرصوفة بشكل مسطح بعرض ٢م×طول٤م، مما يشير إلى احتمال وجود مدخل شمالي للكنيسة كان هذا الرصيف يتقدمه (شكل١٠).

**٨- بئر ماء**

بُني هذا البئر في الجهة الغربية من الكنيسة، وهو منحوت في الصخر الطبيعي، يصل عمقه ٨-٩متر، ويجاوره جُرن منحوت في الصخر الطبيعي موصول بقناة ربما لترسيب الشوائب قبل دخول ماء المطر إلى البئر شكل (١١).

**فسيفساء الكنيسة**

تتكوّن الأرضية الفسيفسائية لكنيسة خربة الدوير

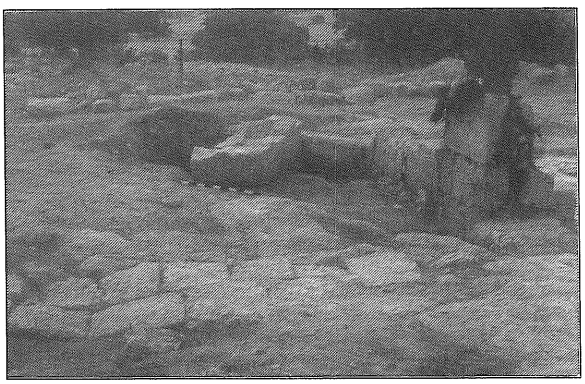

شكل (١٠) الجهة الشمالية للكنيسة، فيها الجدار الشمالي وناووس حجري ورصيف للمشاة.

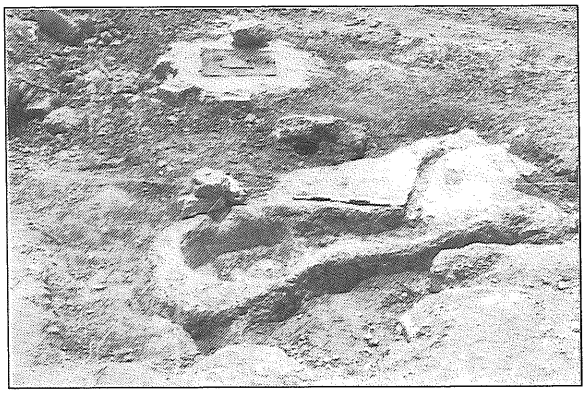

شكل (١١) بئر الماء يجاوره حوض الترسيب الملحق بالكنيسة.

من عدة عناصر زخرفية ملونة ذات أشكال هندسية منوعة تخلو من العناصر ذات الروح، وتغطي الأرضيات الفسيفسائية الأروقة الثلاثة والحنيّة والهيكل والبهو الأمامي لمدخل الكنيسة، كما عُثر على بقايا رقع فسيفسائية خارج الجدار الجنوبي للكنيسة في أرضيات الحجرات الملحقة، ورقعة صغيرة شرقي الرواق الشمالي. استخدمت المكعبات الفسيفسائية ذات الألوان الأحمر، البرتقالي، البني، الأصفر، الأزرق، الأسود، الرمادي، إضافة الى اللون الأبيض.

وفيما يلي وصفاً للزخارف على الأرضيات الفسيفسائية:

**١- فسيفساء الحنيّة والهيكل**

الأرضية سليمة في معظمها تقريباً، وتشمل زخرفة تيجان زهرة متكررة مكونة شكل معيني يتوسطه معين صغير في وسطه صليب، وقد استخدم في هذه الأشكال اللون الأحمر واللون الرمادي إضافة إلى اللون الأبيض. كما يوجد في منتصف الأرضية الفسيفسائية لحنية الكنيسة مربعين بمساحة ٧٠سم×٧٠سم لكل منهما إطار باللون الأحمر، وبداخلهما نقشين كتابيين باللغة اليونانية، ويقعان على جانبي قاعدة المائدة المقدسة، استخدم في إظهار الحروف اللون الرمادي الغامق.

ترجمة النقش الأول على الجهة اليمنى باللغة العربية:

«في زمان الكاهن بيشوب بولص المحبوب من الله ورومانوس عُملت التجديديات في هذه الكنيسة».

ترجمة النقش الثاني على الجهة اليسرى باللغة العربي:[1]

« الشكر للقسيس كرياكوس الذي يطلب من الله تقبل الأرضية الفسيفسائية التي عملها تخليداً

١ - قامت بقراءة النقشين وترجمتهما د. دومنيك محيسن، الأستاذة سابقاً في علم النقوش الكلاسيكية في معهد الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك.

للقسيس سوزيم» (أنظر الشكل٥).

**٢- فسيفساء الرواقين الشمالي والجنوبي**

رصفت أرضيات الرواقين الشمالي والجنوبي للكنيسة بمكعبات الفسيفساء الملونة ذات الألوان الأبيض، الرمادي، البنفسجي، الأحمر، البرتقالي والأصفر. معظم مساحة الرواقين محتفظة بالأرضية الفسيفسائية باستثناء جزء من الجهة الغربية من الرواق الشمالي المعرض للتدمير، وبعض الأجزاء في الرواق الجنوبي. استخدم في زخرفة هذه الأرضيات الأشكال الهندسية المتميزة بتناسقها اللوني ودقة توزيع المساحات بينها بشكل يدل على المقدرة الفنية والرياضية للفنان الذي صمّم ونفّذ مثل هذا العمل.

صممت الأشكال الهندسية داخل شبكة مربعات متجاورة يتوزع بينها وبشكل متكرر مربع صغير فيه شكل صليب مروحي (شكل ١٢ ، ١٣).

استخدم اللون الرمادي الغامق كإطار لمعظم المربعات. أهم الأشكال الهندسية المتواجدة شكل معين بداخله شكل معين صغير، وصليب صغير مع ما يشبه الجرس، ومربعات عددها أربعة تتلاقى رؤوسها من إحدى زواياها، وخطوط بشكل درجات متكررة، وخطوط بشكل أمواج، وخطوط بشكل شعاع. كما يتوزع

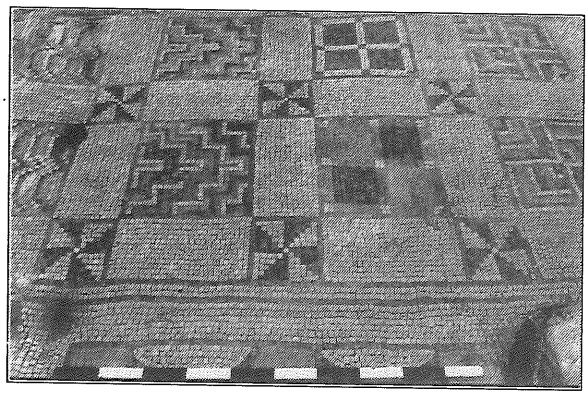

شكل (١٢) أشكال هندسية في فسيفساء الرواق الشمالي.

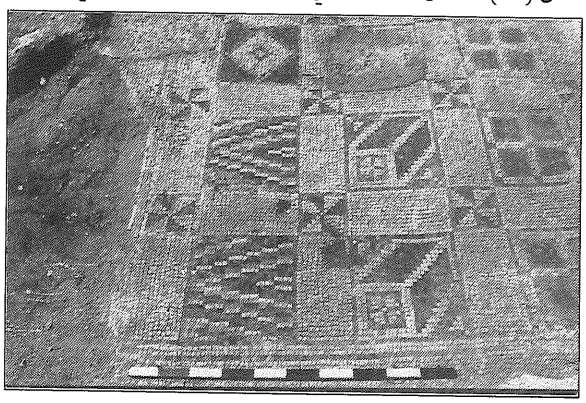

شكل (١٣) أشكال هندسية في فسيفساء الرواق الشمالي.

خارج الإطار الذي يشمل شبكة المربعات الهندسية، شكل معين باللون الأحمر والبرتقالي موزع بشكل متكرر ضمن الأرضية ذات اللون الأبيض (شكل ١٢، ١٣).

لوحظ وجود أعمال ترميم في أرضية الرواق الشمالي في الجهة الغربية استخدم فيها المكعبات البيضاء ذات الحجم الكبير إضافة الى الملاط، كما لوحظ وجود عمليات ترقيع وترميم بين قواعد الأعمدة استخدمت فيها مكعبات فسيفسائية أكبر حجماً من المكعبات الأصلية. يوجد في الجهة الشرقية من الرواق الجنوبي زخرفة مميزة لم يُعمل مثلها في الرواق الشمالي وهي عبارة عن استخدام مربعات متجاورة بينها مستطيلات صغيرة روعي فيها التدرج اللوني والتركيز خاصة على الألوان البنفسجي والأحمر والأصفر والبرتقالي وركز على اظهار صليب باللون الأبيض يتوسط المربعات (شكل١٤).

وجدت زخارف فسيفسائية مشابهة للعناصر التي وجدت في أروقة كنيسة خربة الدوير في كنيسة تعود الى القرنين الخامس والسادس الميلاديين في موقع اليصيلة شمال شرق مدينة اربد بـ٨كم.

(Al-Muheisen 1991: 341-346, PI. II,2)

**٣- فسيفساء الرواق الأوسط (صحن الكنيسة)**

تتوزع على جانبي الرواق الأوسط من كل جانب ستة قواعد كانت ترفع أعمدة أو حجارة بناء لترفع بدورها السقف. زخرفت المساحات بين قواعد الأعمدة الفاصلة بين الرواق الشمالي والرواق الأوسط بزخارف هندسية مميزة في كل مساحة وتختلف عن الزخارف المجاورة لها، مثل استخدام الدوائر وبداخلها مربعات مُلئت بخطوط مكررة بشكل درجات، ودوائر متداخلة يُشكل تداخلها ما يشبه الزهور المتفتحة، وأيضاً دوائر كاملة متجاورة ومربعات متجاورة

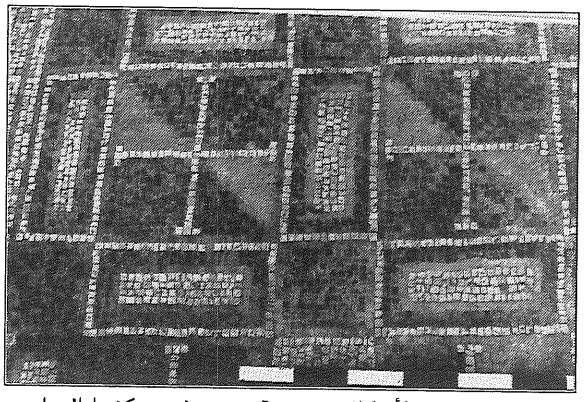

شكل (١٤) زخرفة لأشكال هندسية تعتمد في مركزها الصليب، توجد في الجهة الشرقية من الرواق الجنوبي.

(الاشكال ١٥، ١٦، ١٧)، كما يلاحظ وجود رقعة من الفسيفساء مرممة في فترة لاحقة من مكعبات فسيفسائية ملونة رصفت بشكل عشوائي كان الهدف منها ملء الفراغ من غير عناية بالتشكيل الفني الزخرفي (شكل١٥). وتتشابه زخرفة المساحات بين القواعد الفاصلة بين الرواق الجنوبي والرواق الأوسط. وقد استخدم في زخرفة الرواق الأوسط إطار بعرض ٥٠سم من دوائر متجاورة متكررة، يتوسط كل دائرة شكل شبه معيني، ويحيط هذا الإطار

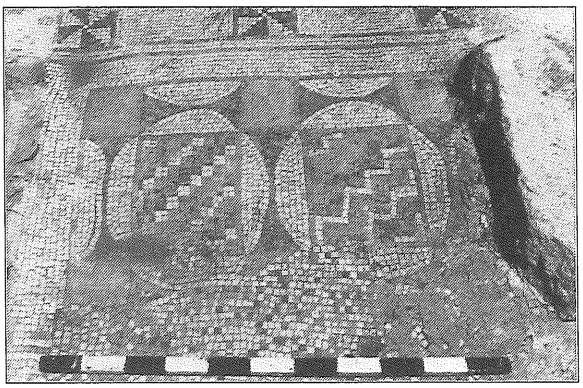

شكل (١٥) زخرفة لأشكال هندسية بين الأروقة، ويُلاحظ عمليات ترميم وترقيع لاحقة.

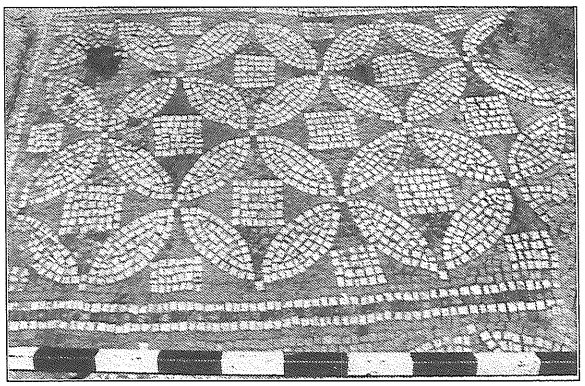

شكل (١٦) زخرفة دوائر متداخلة بين الأروقة.

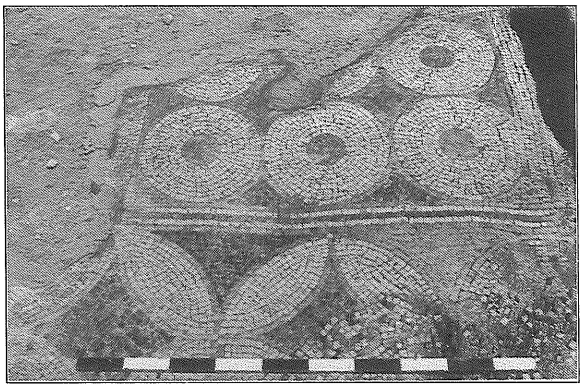

شكل (١٧) زخرفة دوائر متجاورة وبتلات زهور بين الأروقة.

بمستطيل كبير ٣٦٠سم×٨٧٠سم تتوزع فيه أشكال معينية يتوسطها مربعات صغيرة. أما ألوان المكعبات التي استخدمت في الرواق الأوسط فهي الأحمر، الأصفر، البرتقالي، الرمادي، إضافة الى اللون الأبيض.

### ٤- فسيفساء الحجرات الملحقة بالكنيسة

عُثر على بقايا فسيفساء بيضاء اللون في الحجرة الشرقية / الجنوبية المجاورة لحنيّة الكنيسة، كما عُثر على رقعة مماثلة في الناحية الشرقية / الشمالية المجاورة للحنيّة. وعُثر أيضاً على رقع متناثرة من الفسيفساء ذي المكعبات الصغيرة الحجم ٨, ٠سم×٨, ٠سم وهي أصغر حجماً من المكعبات الفسيفسائية المستخدمة داخل الأروقة، ورغم تعرض الجزء الموجود فيها للتدمير، وهو الجزء الجنوبي من الكنيسة، إلا أنها ولحسن الحظ احتفظت بزخرفة لشجيرة ذات ثمر ربما كانت شجيرة تفاح، يجاورها مثلثات ملونة أحدها فيها خطوط متكسرة بشكل أمواج، استخدمت الألوان الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الرمادي. ويجاور هذه الزخرفة نقش كتابي تعرضت بعض أجزائه للتدمير مما حال دون قراءة واضحة له، غير أنه يُفهم مما تبقى من كلماته أنه نقش تذكاري يُمجد الرب، ويعود لنهاية القرن السابع الميلادي، وهذا النقش لا يزال قيد الدراسة[٢] (شكل (٩, ٨).

وربما أن هذا النقش والفسيفساء المكتشفة قريباً منه في الجزء الجنوبي خارج الرواق الجنوبي للكنيسة مثلت كنيسة أقدم من العصر البيزنطي في أواخر القرن السابع الميلادي، يُعزز ذلك الاحتمال نص النقش الموجود في هيكل الكنيسة التي يتحدث عن تجديدات في بناء الكنيسة.

### تقنية عمل الفسيفساء في هذه الكنيسة

يبدو أن المكعبات الملونة للفسيفساء قد جرى استقدامها إما من مناطق محلية مشهورة بالفسيفساء كمأدبا أو من خارج البلاد نظراً لندرة بعض الألوان في الطبيعة كاللون البنفسجي مثلاً. كما أنه قد استخدمت ثلاثة أحجام للمكعبات، الأول قياس ١سم × ١سم واستخدم في رصف أرضيات الأروقة والحنيّة، والثاني قياس ٨, ٠سم×٨, ٠سم واستخدم في رصف الجزء الجنوبي من الكنيسة في الحجرات الملحقة، والحجم الثالث قياس ٢سم×٢سم واستخدم في عمليات الترميم اللاحقة، إضافة الى استخدامه في رصف

٢- سيتم نشر دراسة هذا النقش مع النقشين الآخرين المكتشفين في هذه الكنيسة في بحث مشترك بين كاتب هذا التقرير ود. دومنيك محيسن.

البهو الأمامي الخارجي للكنيسة.

لوحظ أن طبقة الفسيفساء قد وضعت على طبقة ملاط رقيقة أسفلها طبقة رقيقة إيضاً من الرمل الأبيض ثم طبقة من الصخر الطبيعي أو التراب. وقد أدت هذه التركيبة الى هبوط الأرضيات في بعض المناطق بسبب أساسها الترابي.

**المكتشفات الأثرية الأخرى**

تم الكشف أثناء التنقيب عن عدة لقى أثرية من مخلّفات الكنيسة وتعود لتاريخ انهدامها إثر تعرضها لزلزال عام ٧٤٧م في العصر الأموي، وفيما يلي وصفاً لهذه القطع:

**١- قطعة عملة برونزية**

قطر هذه القطعة ٢,٢سم. يمثل الوجه صورة الامبراطور البيزنطي وعلى جانبيه ولديه. والظهر عليه حرف M يعلوه صليب محور. كتب على نطاق القطعة اسم دار الضرب باللغة العربية وهي (طبرية)، وباللغة اليونانية وهي (THBEPIA Δ O). تؤرخ هذه العملة لعهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان في فترة ما قبل التعريب حوالي ٧٣هـ. (القسوس والطراونة ١٩٩١: ٥٤، ٥٥)، (Walker 1958: xevi) شكل (١٨).

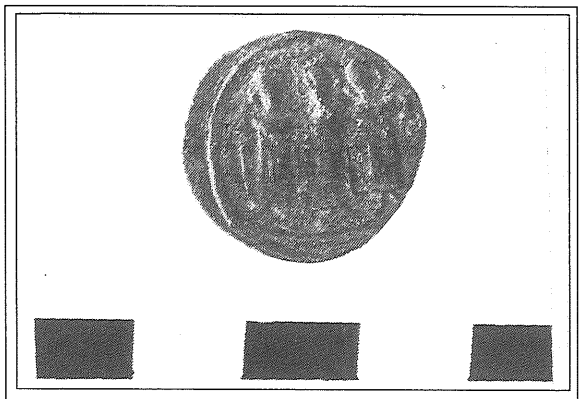

أ. وجه العملة

ب. ظهر العملة

شكل (١٨) قطعة عملة برونزية من عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان قبل تعريب العملة.

**٢- إبريق فخاري**

وهو كامل الشكل ذو لون بني فاتح، الجسم منتفخ له فوهة دائرية أسفلها خط دائري غائر، وله صنوبر بارز، وقاعدة حلقية مجوفة، على شفة فوهته خطوط طولية قصيرة، وعلى جسمه الخارجي من الجهتين زخرفة لخط متموج وخط حلزوني متداخل، ارتفاع الإبريق ٢٣سم، ويؤرخ للقرن الثامن الميلادي، العصر الأموي (شكل١٩).

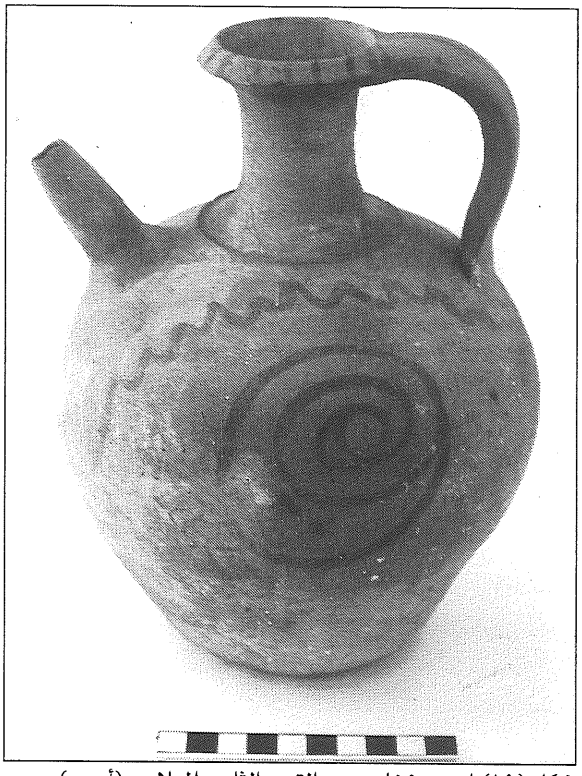

شكل (١٩) إبريق فخاري من القرن الثامن الميلادي (أموي).

**٣- صليب برونزي**

صليب ذو أربعة أطراف، سمك المعدن ٤سم، طول الصليب في طرفيه الطويلين ١٧سم، طول الصليب في طرفيه القصيرين ١١,٥سم، يوجد في طرفين من أطرافه ثقبين دائريين، يتصل بكل ثقب منهما طرف جنزير برونزي تتصل حلقاته ببعضها البعض وهي من الحجم الصغير، طول الجنزير في كل طرف على حدة ٧٥سم يتوسطه خطاف من المعدن للتعليق، وعلى الأغلب يُعلق هذا الصليب على جدران الكنيسة (شكل٢٠).

**٤- صليب برونزي**

عبارة عن صليب يتوسط حلقة دائرية من البرونز

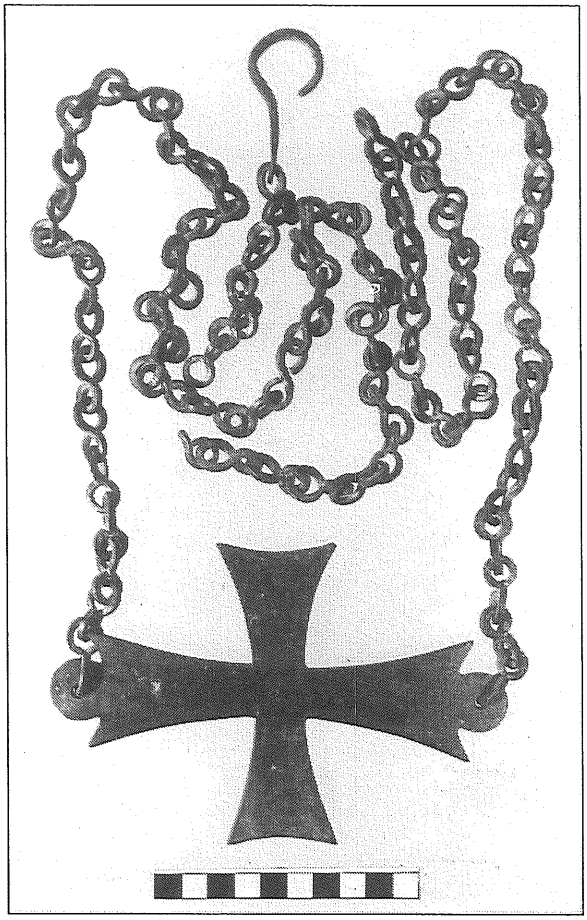

شكل (٢٠) صليب برونزي ذو سلسلة، كان يعلق بواسطة خطاف على جدران الكنيسة.

في طرفيها ثقبين يتصل بهما جنزير برونزي ذو حلقات صغيرة، طول الجنزير في كل جهة ٥١سم، قطر الحلقة ٧ر٩سم سمك معدنها ٣مم، يوجد في وسط الجنزير خطاف من المعدن يستعمل للتعليق.

وجد مثل هذه القطعة التي يتوسطها الصليب قطعة مشابهة في كنيسة حوفا الوسطية التي تعود الى أواخر القرن الخامس الميلادي والقرن السادس الميلادي (أبو دلو ١٩٩٤: ١٥) (شكل ٢١).

**٥- حمالة لسراج إضاءة (ثريا)**

عبارة عن قطعة من معدن البرونز تمثل حمالة لسراج إضاءة، سمك معدنها ٣مم، قطر كل دائرة منها ٤سم، وبين كل دائرة وأخرى مثلث مفرغ برأس دائري صغير عدد المثلثات ستة. يتوسط الدوائر والمثلثات دائرة كبيرة مفرغة بقطر ١٣سم، وعليها ثلاثة حلقات صغيرة لتثبيت ثلاثة جنازير،طول كل جنزير حوالي ١٧سم، تلتقي بخطاف من المعدن للتعليق طوله ٥ر٧سم.

وجد مثل هذه القطعة في كنيسة خربة داريا في

شكل (٢١) صليب ضمن حلقة دائرة برونزية متصل بسلسلة، كان يعلق على الجدران.

قرية الزعترة جنوب مدينة اربد وتؤرخ للقرن السادس الميلادي (كراسنة ١٩٩٧: ٣٤). وفي كنيسة ماريانوس في جرش وتؤرخ أيضاً للقرن السادس الميلادي (Gawlikowski, M. and Musa, A. 1986: 1962) (شكل ٢٢).

**٦- حمالة لسراج إضاءة (ثريا)**

عبارة عن قطعة من البرونز دائرية الشكل تمثل حمالة سراج إضاءة، قطرها ٢٤سم، سمك معدنها ٣مم، مكونة من ستة دوائر صغيرة مفرغة، بين كل دائرة وأخرى تجويف، قطر كل دائرة ٤سم، يتوسط الدوائر الصغيرة والتجاويف دائرة كبيرة مفرغة بقطر ١١سم. يوجد بين الدوائر الصغيرة ثلاث حلقات موزعة في ثلاثة أماكن لتثبيت الجنازير، اثنين منها مفقودان، كما أن خطاف التعليق مفقود. (شكل٢٣).

هذه الحمالة والحمالة السابقة كانتا تعلقان في سقف الكنيسة للإضاءة.

وجدت جميع المكتشفات الآنفة الذكر في أروقة الكنيسة وقريبة من سطح الفسيفساء، مما يشير الى

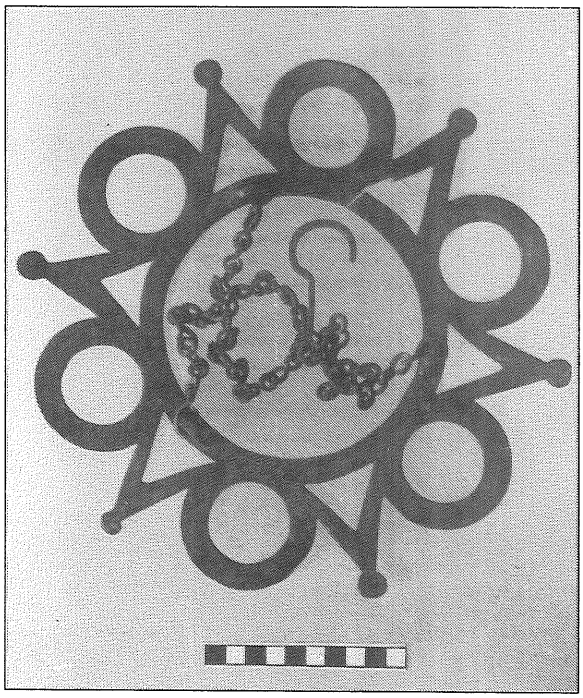

شكل (٢٢) حمالة سراج إضاءة (ثريا) من البرونز.

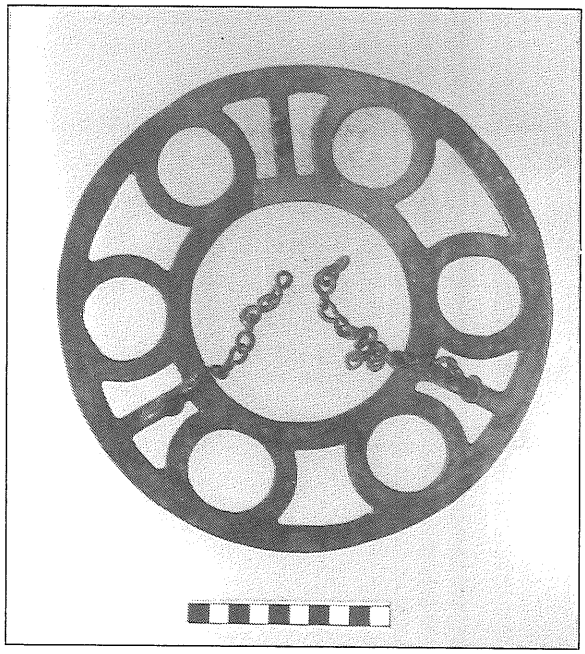

شكل (٢٣) حمالة سراج إضاءة (ثريا) من البرونز.

أن مواقعها أصلية حيث بقيت على حالها منذ تاريخ هجر الكنيسة إثر زلزال عام ٧٤٧م.

**الاستنتاجات**

في ضوء المكتشفات الأثرية يمكن أن نخرج بعدد من الاستنتاجات:

١- يشير النقشان الواقعان في منطقة الهيكل الى أن فسيفساء الكنيسة قد رصفت في فترة لاحقة لاستخدام الكنيسة بشكل تجديدات على يد القسيس (كرياكوس) في زمن الكاهن (بيشوب بولص) وهذا يُعطي مؤشراً أن الكنيسة كانت قائمة في مرحلة أولى بأرضية فسيفساء أقدم، وأن التجديدات جاءت تحسيناً في وضع الكنيسة وعمارتها.

٢- تشير عمليات الترقيع المتعددة في الأرضية الفسيفسائية داخل الأروقة الى طول فترة استخدام الكنيسة بعد رصفها، والى ضعف الحالة الفنية والاقتصادية لمعاصري الفترة اللاحقة التي عُملت في عصرهم الترقيعات العشوائية والتي لم يراع فيها أي إبداع، وكانت فقط مجرد ملء فراغات.

٣- إن تركيز موضوع الزخرفة على العناصر الهندسية المختلفة يُعطي دلالة قوية على أن مذهب مستخدمي هذه الكنيسة كان من المذاهب الدينية المعارضة لوضع صور روحانية في أرضيات الكنائس حيث لم يُعثر على أي شكل ذي روح.

٤- إن دقة الزخارف الهندسية وتنوع أشكالها وألوانها تشير الى الاهتمام البالغ من قبل مستخدمي هذه الكنيسة بزخرفتها والى المبالغ المالية التي صُرفت على هذا الإنجاز كثمن مواد وأجور عمال وفنانين، وهذا بالتالي يدل على الوضع المادي الجيد لسكان المنطقة.

٥- إن العثور على كم كبير من حجارة البناء المشذبة منهارة فوق أرضيات الأروقة والهيكل تشير الى أن المبنى كان ذو نمط معماري رفيع وأن القواعد التي تفصل بين الأروقة وعلى الجوانب كانت ترفع أقواس والتي بدورها ترفع السقف. وعثر على بقايا القصارة البيضاء التي كانت تغطي حجارة الجدران والقواعد وبقايا قصارة عليها ألوان وبقايا رسومات، مما يشير الى احتمال وجود رسوم مائية (فرسيكو) كانت قائمة على الجدران.

٦- إن إلحاق مدفن في مقدمة البهو الأمامي للكنيسة ووجود ناووس حجري في الجهة الشمالية الشرقية من الكنيسة يشيران الى العناية الدينية ببعض الأشخاص المتوفين والذين ربما كانوا من رجالات الدين، حيث ذُكر اسم أحدهم في نقوش الهيكل وهو القسيس (سوزيم)، الذي عُملت الفسيفساء تخليداً له. أما ظاهرة إلحاق مدافن بالكنائس فقد وجدت في كنائس مختلفة من العصر البيزنطي مثل: كنيسة خربة البرز في سما الروسان (الخصاونة ١٩٩٤: ٢١-٢٦). وكنيسة

حوفا الوسطية (أبو دلو ١٩٩٤: ٩-١٩).

٧- بناء على مساحة هذه الكنيسة وأروقتها يمكن تقدير سعتها من المصلين حوالي ١٠٠ شخص على الأقل، وإذا ما ربطنا هذا العدد بعائلاتهم، فهذا يعني أن عدد سكان القرية يتجاوز هذا العدد خمسة الى ستة أضعاف، مما يشير على أن هؤلاء السكان كان لهم بيوت ومنشآت قريبة، وهذا يعزز ضرورة الاهتمام بهذه المنطقة أثرياً.

**تأريخ الكنيسة:**

إن الدمار الذي لحق بمبنى الكنيسة ووجود العديد من حجارة البناء ساقطة مباشرة على الأرضية الفسيفسائية ووجود الكسر الفخارية والإبريق الفخاري الكامل الذي عثر عليه في أروقة الكنيسة، إضافة إلى قطعة العملة المؤرخة إلى حوالي ٧٣هـ/٦٩٣م والنقوش الكتابية الثلاثة تشير الى أن موقع الكنيسة قد هُجر في أعقاب دمار واسع تعرضت له المنطقة والذي يغلب أنه نتيجة زلزال قوي مدمر، وعلى الأرجح زلزال سنة ٧٤٧م في العصر الأموي. وبالتال يمكن القول أن تأريخ هذه الكنيسة يعود لأواخر العصر البيزنطي وللعصر الأموي أي في أواخر القرن السابع الميلادي وحتى أواسط القرن الثامن الميلادي، وبذلك فهي من الكنائس القليلة في الأردن التي عاصرت العصر الأموي، وفي هذا إشارة إلى التسامح الديني الذي ساد المنطقة في العصر الأموي بين سكانها العرب.

**شكر وتقدير**

أتوجه بالشكر والتقدير للسادة إبراهيم الحاج حسن الذي أشرف على صيانة وترميم القطع الأثرية المكتشفة، سالم الدعجة، محمد فايز، أسامة جبر،

شكل (٢٤) خطاف من البرونز لتعليق قطعة معدنية.

وعادل حداد من قسم التصوير في دائرة الآثار العامة، والرسام موفق بطاينة والمصور حسين ديباجة من جامعة اليرموك، والدكتور زيدان كفافي المدير السابق لمعهد الآثار والأنثروبولوجيا، والدكتورة دومنيك المحيسن لقراءتها النقوش، والسائق خلف الحموري.

اسماعيل ملحم
مكتب آثار لواء الكورة
دائرة الآثار العامة

**المراجع العربية**

إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.
١٩٩٠ **لسان العرب.** المجلد الرابع. دار صادر. بيروت.

أبو دلو، ربى
١٩٩٤ التقرير النهائي حفرية حوفا الوسطية ١٩٩٢م. **حولة دائرة الآثار العامة**، المجلد الثامن والثلاثون. ص: ٥-١٩.

الخصاونة، ناصر
١٩٩٤ تقرير نهائي عن حفرية خربة البرز - سما الروسان ١٩٩٣م. **حولية دائرة الآثار العامة**، المجلد الثامن والثلاثون. ص: ٢١-٢٩.

القسوس، نايف والطراونة، خلف.
١٩٩١ **مسكوكات العالمين القديم والإسلامي.** البنك العربي، عمان.

كراسنة، وجيه
١٩٩٧ حفرية كنيسة خربة داريا لعام ١٩٩٥م، الزعترة - صمد. **حولية دائرة الآثار العامة**، المجلد الحادي والأربعون. ص: ٢١-٣٦.

**Bibliography**

Al-Muheisen, Z.
1991 Yasileh: A New Site in Northern Jordan. *ADAJ* 35: 341-346.

Gawlikowski, M. and Musa, A.
1986 The Church of Bishop Marianos. Pp. 137-162 in F. Zayadine (ed.) *Jerash Archaeological Project 1981-1983,* Vol. I. Amman: Department of Antiquities.

Mittmman, S.
1970 *Beiträge Zur Siedlungs-und Territorialgeschichte des Nördlichen Ostjordanlandes.* Wiesbaden: Otto Harrasswitz.

Walker, J. *et.al*
1958 *A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umayyad Coins.* The Trustees of the British Museum. London.